

المقابر

الضوء اللامع

من كتب التراجم الممتعة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي الأصل القاهري تكلم فيه على رجال عصره بما اعتنقه فيهم وأطلق لقلبه العنان أيما إطلاق حتى لتفاته لا يعرف غير المهجاء مذهبا وكشف عورات أهل جيله وقبيله مشربا .

قال في كشف الظنون : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعائة رتبة على الحروف وقد صنف السيوطي في رده مقالة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشنع عليه فيها واتقبه الشيخ زين الدين عمر بن احمد الشعاع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب احمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع واختصره الشيخ احمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب ربما كانت اصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وقعت في خمس مجلدات ضخام . والمؤلف عالم من علماء الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه Autobiographie في كتابه وقد جرت عادة كثير من الاعلام ان يترجموا انفسهم من غير تكبر فما قاله انه اخذ عن ديب ودرج وذلك لانه ارتمل من القاهرة على عادة العلماء لان الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من لوازمهم وحج فر علكى الينبوع وعقبة ايلة ورايح وخليص ثم ارتحل الى حلب ماراً بيليس وقطيا وغزة والمجدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعبك وحمص وحماة وسرمين وحلب ومرة ايضاً بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداربا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي بن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته سيفه ازيد من ثلاث مجلدات والذير المسبوك في الذيل على تاريخ المقرئ في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره . والذيل على قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثمانية رزمة على حروف المعجم قال انه لا يعلم من سبقه اليه . وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة ولم نرفيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وبرايم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي واهم الكوراني وابن الهام وابن الشحنة والمقرئ والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمونك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي . وفيه من غير هذه الطبقة ايضاً طرف صالح جداً منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقباء اُخرى فتقع فيه على تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبوبي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنگوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والديماطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسناطي والاشموني والموي والمنفلوطي والفارسكري والبنهاوي والبيجوري والمنشاي والرشيدى والسكندري والاذرعي والعماري والبقاعي والسقطي (من سقط الحنايف شرقية مصر او سقط قلشاً من البحيرة) والديروطي والغافوسي والحلي والدمهري والابخمي والابشهي والقلبي والعاهري والناوي والحلاوي والكركي والشوكي . والصعيدى والليناني والبليسي والبصري والصيداوي والديوي والزفاوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسراني والجعبري (نسبة لقائمة جعبر من بلاد حلب) والحصي

والحموي وغير ذلك من الاعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدينها في ذلك القرن .

بل وتجد فيه ما هو اغرب واعجب من تراجم امراء الجراكسة والمتقدمين في حكومة تلك الايام امثال قاتيباي احد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشمر وقطبلايه وقطليك وقطلوبغا وقطج وقرقاس وقراجا وقراسنقر وقرا بلوك وقرا يوسف وقراجا وقاتباي وقارب ردييه وقانصوه وقاينك وقانم وكانور وكثبغاواق سنقر ولاجين ومنكلي بغا والطبغا وامثالهم من لا تضرهم على ذكر في غير هذا السفر الحايي وترجم كثيراً من العامة وارباب الاحوال والنساء واورد بعض اشعارهم ومنها الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن شيرين الحنفي وقد كتبت الى المؤلف بعد مجي الخبر بموت اخويه من نظمها

قفا واسعا مني حديث احبتي فاوصاف معنهم عن الحسن جلت
اناس اطاعوا الله نارت قلوبهم وابصرت الاشياء من غير نباءة
وقد كوشفوا عن كل ما اضمحل الفنى ونارت قلوب منهم وبصيرة

وهالك ما قاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذي يرمي اليه :

الحمد لله جامع الشئات ورافع من شاء في الحياة وبعد المات ومقبل المتقبل على الاكثار من الطاعات من ذوي اليات من بعد ما مله صدر عنه من الزلات وقابل توبة من اخلص ورجع عما اقترف من البليات سببا الصادرات في الصبا الغالب معه ترك النظر في العاقبات فضلا عما نأ في الطاعات الى ان قال : وبعد فهذا كتاب من اهم ما به يعتنى جمعت فيه من علمي من هذا القرن الذي اوله سنة احدى وثمان مائة ختم بالحسن وسائر العلماء والقضاة والصلحاء والرواة والادباء والشعراء والخلفاء والملوك والامراء والمباشرين والوزراء مصر يا كان او شاميا حجازيا او يمانيا وروما او هنديا مشرقيا او مغربيا بل وذكر في بعض المذكورين بفضل ونحوه من اهل الذمة اقتفاء في اكثرهم (؟) لمن اصفتهم اليه في غزوه لانه اجتمع لي منهم المم الغفير وارتفع عني اللبس في جمهورهم الا اليسير مستوفيا من كان منهم في معجم شيخنا واثبائه وتاريخي العيني والمقريزي سببا في عقودهم التي رتبها النجم ابن نهدي مع اصله القامبي والطبقات والوفيات المدونة والتراجم كشيوخ ابن فهد النقي وولده تخريجه وغيرها من المعاجم وما علقته من مجاميع مفيدنا الزين رضوان او رأيت في استدعالت ابن شيخنا ونحوه من الاعيان وسائر

من ضبطته ممن اخذ من شيخنا او عني او اخذت عنه، ولو لم يكن كبيراً عيناً وربما اثبت
 من لا يذكر لبعض الاغراض التي لا يحسن معها الاعتراض والحق في اثباته كثيراً من
 الموجودين رجاء انتفاع من علمه يسأل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الغني عن
 التوجيه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له لتسهيل الكشف على
 حروف المعجم الترتيب المهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من
 الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقب وكذا المبهمات بعد الابناء
 مراعيًا في الترتيب لذلك كله حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلاً
 بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والـف ثم بالتي بعدها على ما الف مردوفاً
 ذلك بالنساء كذلك وكل ما اطلقت فيه شيخنا فرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت
 ايراد شيء مما علمه يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين نغشيت التطويل
 سيما ان حصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصر على الرضي والزكي والسراج والعبد
 والمحوي من بلغت رضي الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محي الدين
 من المصنف عليه محتوى واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه للعلم به فاقصر
 على قولي مات سنة ثلاث مثلاً دون وثمان مائة وتوفي ثم ليعلم ان الاغراض
 في الناس مختلفة والاعراض بدون التباس في المحطور مؤتلفة ولكنني لم آل في القوي
 جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابدية
 بالتسليم ويتوقون الاعتراض فضلاً عن الاعراض عما القيه والتأنيب حتى كان العز
 الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المعتلي يقولان انك منظور اليك فيما تقول مسطور كلامك
 المنعش للعقول وقال غير واحد ممن يعتمد بكلامه وتمتد اليه الاعتناق في سفره ومقامه
 من زكيته فهو المعدل ومن مرضته فالضيف المعلل الى غيرها من الالفاظ الصادرة
 من الائمة الايقاظ بل كان بعض الفضلاء المعتبرين يصرح بشعني الموت في حياتي
 لا ترجمه بما علمه يخفى عن كثيرين نعم قد يشك من يعلم اني لا اقيم له وزناً فارق بل
 يختلف (كذا) ما يضمحل في وقته حساً ومعنى ويستفيد به التنبيه على نفسه فيحقق منه ما كان
 حساً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف المجانب للانصاف وان يرزقنا لمة الحق
 في السخط والرضى ويصرفنا عما لا يرتضى وبقيتنا شر القضا وسميته الضوء اللامع
 لاهل القرن التاسع اهـ

هذا هو اقل ما يقال في الضوء اللامع والامل معمود بان يمثل للطبع عما قريب على يد

أحدى جمعيات المستشرقين في أوروبا ولما اكتفينا بإيراد ترجمتين منه لفاضلين أحدهما دمشقي والآخر مصري وإن كان شامي الأصل وذلك نموذجاً لاسلوب المؤلف وإنشائه قال في ترجمة العالم المؤرخ النكاتب المشهور ابن عربشاه :

« أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد ابن عربشاه ابن أبي بكر الأستاذ الشهاب أبو محمد ابن الشمس الدمشقي الأصل الرومي الحنفي والد التاج عبد الوهاب ويعرف بالعجمي وابن عربشاه وهو الأكثر وليس هو بقريب لداود وصالح أبي محمد عربشاه الحمدانيين الأصل الدمشقيين الحنفيين أيضاً . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقرئ ثم تحول في سنة ثلاث وثلاثمائة في زمن الفتنة مع أخوته وأمه وابن اخته عبد الرحمن بن إبراهيم بن خولان إلى سمرقند ثم يفرده إلى بلاد الغلط وأقام ببلاد ماوراء النهر مديناً للاشتغال والاختصاص هناك من الأساتذة فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما تزيلاً سمرقند الأول بمدرسة أيدكوتور والثاني بباغ خدا وعبد الأول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية وأحمد الترمذ في الواعظ وأحمد القصير وحسام الدين الواعظ أمام مسجد السيد الامام محمد بخاري الزاهر والي في سمرقند في سنة تسع وثلاثمائة الشيخ عربان الادهمي الذي استفيض هناك ابن ثلاثمائة سنة فله علم وبرع في فنون واستفاد اللسان الفارسي والخط الموغولي واتقنها واجتمع في بلاد الموغول بالبرهان الأيدكاني والتاجي جلال الدين السيرامي وأخذ عنه وقرأ النحو على حاجي قليد السيد ثم توجه إلى خوارزم فأخذ عن نور الله وأحمد بن شمس الأئمة السيرافي الواعظ وكان يقال له ملك الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم إلى بلاد الدشت وسراي وحاجي خان وبها (البحر) الزاخر مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردي فأقام عنده نحو أربع سنين وأخذ عنه الفقه وأصوله ومما قرأ عليه المنظومة ثم إلى قرم واجتمع بأحمد بيروق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البلغاري ومحمود اللب أبي (؟) وعبد المجيد الشاعر الأديب ثم قطع بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فإقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد ابن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي إلى التركي في نحو (٥٠) مجلدات وتفسير أبي الليث السمرقندي الفادري بالتركي نظماً وبأشرف دهبان الإنشاء وكتب عنه إلى ملوك الأطراف

عربيا وشاميا وتركيا بالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لأمر الدشت وسلطانها
وبالموغولي لشاروخ وغيره . والعربي للؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة
بحيث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي وأخذ عنه العربية أيضا

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فاقام بها نحو ثلث سنة ثم
الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بمحاثوت مسجد
القصبة مع شهوده يسيرا لكون معظم اوقاته الانعزال عن الناس وقرأ بها على القاضي
شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلماء البخاري سنة
اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصالين
والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه انكافي في الفقه والبرزوي في اصوله
وتقدم في غالب العلوم

وانشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني
والبيان والبديع وذلك في أسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص وعمل قصائد غزلية كل باب
منه قصيدة مفردة على قافية اشار اليه شيخنا بقوله ووقفني على منظومة في المعاني والبيان
واجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يؤخذ منه مقصد ذلك السبيل
انتهى . ومقدمته في النحر . وعتود النصيحة . والرسالة المسماة بمقد الفريد في التوحيد .
ونثراً تاريخ ليورنك ساه عجائب المقدور في نواب ليور . وفاكهة الخلفاء ومفاكهة
الظرفاء . وحضاب الالهات الناقب وجواب الشهاب الناقب . والترجمان المترجم بمنتهى
الارب في لغة الترك والديج والعرب

واشير اليه بالتفنن حتى كانت ممن يحمله ويعترف له بالفضيلة شيخنا واثني على نظمه
التلخيص كما قدمته بل كتب عنه من نظمه ليدخله في البلدانات فقال انشدني بمنزلة
برزة بالقرب من قرية القابون التختاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السيل بقلع ما يلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر

حتى يوافي عباب البحر ينظرو قد اضمحل فلا يبقى له اثر

مع حرص صاحب الترجمة حين كونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل
امتدحه بقصيدة بديعة اتى فيها بالغاز وتعاي واهامي وجناسات وتلاعب فيها بفسروب
الادب اودعتهما الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف اياتها بيت جمع فيه حروف
الهجاء وهو

خض بحر فظ حديثه نقش العلا واجزم بصدقك ناطقاً اذ تسند
وبيت عاقل وهو

العالم العلم الامام لدى العلا العامل الحكم الممام الاوحد
وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانكاس وشطره الثاني عاقل مع كونه مما لا يستحيل
ايضاً فالاول مركب من آمن والثاني من احمد وهو

تم آمناً من يتم انما آمن دم حامداً ما ام آدم احمد
وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها الفكاهة والمداعبة مما
تعرف منه الملاءة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام
على قدرة شيخنا في التفسير وغيره رحمهما الله

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية
مجيد الخط جيد الانقان والقبض عذب الكلام بديع المخاضرة مع كثرة التودد ومزبد
التواضع وعظلة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة وسباه الخير ولوانح
الدين عليه غلاصرة وقد لقيه بالقاهرة في اخاتناه الصلاحية سنة خمسين فكتبت عنه
من نظمته اشياء وسمعت من لفظه القمد الفريد وعتود النصيحة وكتبهما لي بخطه
وبالغ في الادب والتواضع ومات باخاتناه المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب
سنة اربع وخمسين ودفن بترتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غربياً
عن اهله ووطنه بعد ان امتحن على يد الظاهر جقمق وطلبه لشكوى حميد الدين عليه
وادخله سجن المجرمين فدام فيه خمسة ايام ثم اخرج واستمر مريضاً من الفهر حتى مات بعد
اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً وترجمته محتملة للبسطة فقد كان من محاسن الزمان ومن
ترجمه باختصار المتريزي في عقوده ومما كتبه عنه لنفسه

قيص من القطن من حله وشربة ماء قراح وقوت
بنال به المرة ما ينبغي وهذا كثير على من يموت

ومنه ممياً

وجهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا واسمك الزاكي كشكاة سناها لعا
سيف يوت اذن الله لها انت ترفعا عكسا صحفه تاتي فيه الحسن (٢) اجما

ومنه

فعلش ماشئت في الدنيا وادرك بها ماشئت من صيت وصوت

فجبل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فيقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وعيهات ما فيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال : العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أسرمع اللثك (اي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجمال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة بشكيب بالشهادة في بعض حوائثها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير ومملكة للسجع وغزارة اطلاع بحيث لخصه المقرئ ي وتترجم مؤلفه فقال : نثره سجعاً فعلاً ورشو. بالاشعار فحلاً. الى ان قال : بانه بحر بلاغة وفصاحة اتشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالفقه واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير منه كتاب مرآة الادب يشتمل على المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو التي بيت وكتاب سيف في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بدعوة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخضاب الالهاتب الناقب وجواب الشهاب الناقب بينه وبين البرهان الباعوفي وحيد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير لغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منعه ان الباعوفي كتب له ستة ابيات التزم فيها بانطسا (٩) المسألة اولها

أحمد لم تكن والله فظاً ولكن لا ارى لي منك حظاً

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين فحصل للشهاب ستة أخرى مثل نظره في كتب اللغة وعملها في ستة ابيات يعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بايات التزم فيها الرأ قبل الالف والراء بعدها .

من مجيري من ظلوم منه أبعدت مزارا

واستوفى مافي الباب قال الشهاب فلم اجد له قافية فكشب له على لسان حميد الدين

قصيدة بغدادية اولها

أي خدائند عجبوا عن موالة التناغي
 فلم يقدر على الجواب بمثلا وكتب الي بقوله
 يا شهاب الدين يا احمد يا ابن عرب شاه
 واستوفى القافية فظفرت باشياء تركها فقلت
 قد اتى الفضل عليه حلل اللطف موشاه

فتعجب من سعة دائرته وكثرة اطلاعه ثم قال له انا والله ما عرفتك الا الآن قال
 فقلت له والله والى الآن ما عرفني وطال الجواب بينهما على هذا المنوال حتى ألف من
 ذلك مجلداً فمن ذلك ما كتب به البرهان

ابن عرب شاه كف عني اولاً نخذ ما يحبك مني
 واعلم بانني خصم ألد الشر دأبي والمكر في
 خلني رجال لم مجال في الحرب لا يخلفون ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات ان البرهان ارسل اليه بعشرة ايات التزم فيها البلاء
 والياء واستوفى ما في الصحاح اولها

ان القميم وانت يا هذا ابن عين الخبير كذا

واستوفى القوايه وظن اني لم اجد قافية فاجبته وآخر الامر توجه حميد الدين
 الى مصر وشكاهها الى السلطان وقال له البرهان هجائي فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له
 من اليوم بكفه عن هجائك فلما خرج قال السلطان للشمس الكاتب ان الباعوني رجل
 جيد لولا انه عرف منه شيء ما قاله وألغز اليه ابو اللطف الخصكني فاجاب بعد ان
 اجاب شعر القاهرة (٩) بغير المراد ثم الغز هو اليه واجابه بما لم اطل بايراده هنا وشعره كثير
 جدأ وتصنيفه المادي فأكهة الخلفاء ومفاكة الظرفاء في مجلد ضخم فيه عجائب وغرائب
 على لسان الحيوانات من اواخر ما ألف .

ولما دخل مصر بعد الخسین في الطاعون وجد غالب من بيت الکمال ابن البارزیه
 مات كزوجته واخته فثرام بقصيدة طنانة على عدة قوافي واطهر في محالها من كل
 قافية الى الاخرى قوة عجيبة ومملكة للنظم لا ينهض غيره بشئ غبارها من قافية
 اللام الى قافية الالف الى الهاء الى غيرها تزيد على سبعين بيتاً اولها

ألى م الدهر يردى بالكمال وبدي بالردى اهل الکمال ١٠٠٥

وقال في ترجمة العلامة المتريزي : « احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن بن عبد الصمد ابن تميم الثقفي
 ابو العباس ابن العلا بن المحيوي الحسيني العبيدي البجلي الاصيلي القاهري سبط ابن
 الصائغ ويعرف بابن المقرئ وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان
 اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين فتحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف
 المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء وانجب صاحب الترجمة وكان مولده
 حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا: انه رأى بخطه ما يدل
 على تعيينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة لحفظ القرآن وسمع
 من جده لامة الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الأمدي والعز ابن الكوكبي والنجم
 ابن رزين والشمس ابن الخشاب والنوحي وابن ابي الشيخة وابن ابي الجعد والبلقيني
 والعراقي والميتي والفرسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المتسلسل علي العماد ابن
 كثير ولايكاد يصح . وحج فسمع بمكة من الشاذلي والاموي والشمس ابن سكر
 وابي الفضل التويري القاهري وسعد الدين الاسفراييني وابي العباس ابن عبد المعطي
 وجماعة واجاز له الاسنوي والاذري وابي البقا السبكي وعلي ابن يوسف الرريدي (?)
 وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن الحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد
 ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف على الشيوخ وولي الكبار وجالس الائمة
 فاحذ عنهم وتفقه حنفيًا على مذهب جده لامة وحفظ مختصرًا فيه ثم لما ترعرع وذلك
 بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعيًا واستقر
 عليه امره لكنه كان مائلًا الى الظاهر ولذلك قال شيخنا انه احب الحديث فواظب
 على ذلك وكان يهتم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يعرفه انتهى هذا مع كون والده
 وجده حنبلين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير وانتقى
 وقال الشعر والنثر وحصل إفاة وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة
 غير مرة اوها في سنة احدى وثمانين مائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة
 بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤبدية عوضًا عن المحب ابن نصر الله حين استقراره
 في تدريس الخطابة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مبائراته وكان قد اتصل بالظاهر
 بقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها
 مرارًا فابى وصحب بشبك الدوادار وقتًا ونالته منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقدًا وحج
 غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظراً وقف القلاسي والبيارسثان الثوري مع
 كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدرّس الاسرفية والاقبالية وغيرها ثم اعرض عن
 ذلك واقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبمد فيه صيته
 وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطوط للقاهرة وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدى
 كما سبق في ترجمته فاخذها وزادها زوائد غير طائلة ودرر العقود الفريدة في تراجم
 الاعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره وامتناع الاستماع بما للرسول من الانباء والاحوال
 والحفدة والمنازع . وكان يحب ان يكتب بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . والمدخل
 له . وعقد جواهر الاسقاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والاعراب عما في ارض
 مصر من الاعراب . والامام في تأخر من بارض الحبشة من ملوك الاسلام . والطرفة
 الغريبة في اخبار حضرموت العجيبة . ومعرفة مايجب لآل البيت النبوي من الحق
 على من عداهم . وايقاظ الخفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء . والملوك بمعرفة دول
 الملوك يشتمل على الحوادث الى وفاته . والتاريخ الكبير المتقى وهو في ستة عشر مجلداً
 وكان يقول انه لو كل على ما يرومه لجاوز الثمانين . والاخبار عن الاعذار . والاشارة
 والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام ومختصره وذكر من حج من الملوك والخلفاء والنظام
 بين بني امية وبني هاشم وشذور العقود وضوء الساري في معرفة خبر تميم الدارسي
 والاوزان والاكيال الشرعية وازالة النعب والعنا في معرفة الحال في العنا وحصول
 الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمتاخذ السنية في معرفة الاجسام المعدنية وتجريد
 التوحيد ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد يشتمل على شلي العقل والنقل المحتوي على فني الجدل
 والهزل بلغت مجلداته نحو المئة وما شاهده وسمعه مما لم ينقل في كتاب . وشارع النخلة
 يشتمل على جميع ماختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه
 الحق منها والاشارة والاياء الى حل لغز الماء وهو ظرف وغير ذلك . وقرض سيرة
 المؤيد لابن ناهض وقد قرأت بخطه ان تصانيفه زادت على مائتي مجلد كبار وان شيوخه
 بلغت ستائة نفس وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك
 يكثر له فيهم وقرع التحريف والسقط وربما صحف في المتن .

ومما رأيت بخطه في ذلك ابن بدر وهو يفتح الموحدة والدال المهملة فقبضه بخطه
 بالبدل وعلي ابن منصور الكرخي شيخ السلفي وهو بالجيم فقبضه بالهاء المعجمة وكثيراً
 ما يجعل عبيد الله عبيد الله وعكسه بل وبلغني انه جعل ابا طاهر ابن محمش واري الحديث

المسلسل بالاولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهمللة واما في التأخيرين فقد انفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كقول له في ابن الملقن انه كان يني (٩) الصلاة جداً وكان مع ذلك بكثير الاعتماد علي من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى فعل ذلك في نسبة فان مستنده في كونه من العبيدين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له : يا ولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن ارفع في نسبة عبد القادر جده انصار يا ينجوش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبة عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة على ذلك فلن يثق به ثم رأيت ما يدل على انه اعتمد في هذه النسبة العربي المشهور بالكذب قاله اعلم . ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم مما في بعضه توقف (كذا) وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والراتب والسير وغير ذلك من اسرار التاريخ وعجائنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والفقه والحديث على اقوال السلف والمأمم بمذهب اهل الكتاب حتى كان يردد اليه انما ضلهم للاستفادة منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والحجة في المذاكرة والمداومة على التهجيد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما يلقي عتب على انقطاعه عنه انشد قول غيره :

فالت الارب للفقير كلاما فيه ذكرى لتفهم الالباب
انا اجري من الكلاب ولكن خير يوعي ان لا ترافي الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا من غدو ورواح واتصال بلثيم او كريم ذي سماح
بعفاف وكفاف وقنوع وصلاح وجعلنا اليأس مفتاحا لابواب الفجاح
لكن احسن و (له) الخبرة بالزايجة والاصطربالاب والرمال والميقات بحيث انه اخذ لابن خلدون طالعا والتمس منه تعيين وقت ولايته فيقال انه عين له يوما فكان كذلك وعد من النوادر

كل ذلك مع تجليل الاكابر له اما مداراة له خوفا من قبله او لحسن مذاكرته وقد حدث بعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخليل للديلمي على ابي طلحة الجراوي مرتين فاعتدوا اخباره بذلك وقرئ عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته سنة انه لا يعلم من يشاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النعم ابن فهد انه حضره في الرابعة علي الخراوي وما علمت مستنده في ذلك .

وقد ترجمه شيخنا في مجعته بقوله وله النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فانه احبا معالمها ووضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها ولكنه لم يبلغ في انبائه لهذا الحد بل قال واولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتاباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلواً للحاضرة وقال العيني : كان مشغلاً بكتابة التواريخ وبفرب الرمل تولي الحسبة بالقاهرة في آخر ايام الظاهر يعني بقوق ثم عزل بمسطره ثم تولي مرة أخرى سفي ايام الدوادار الكبير سودون ابن اخت الظاهر يعني بقوق عوضاً عن مسطره بحكم ابن مسطره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور وقال ابن خطيب التامرية في ترجمة جده وهو وجد الامام الفاضل المؤرخ نبي الدين وقال غيره : جمع كتاباً نبيا شاهده وسمه مما لم ينقله من كتاب ومن عجب ما فيه انه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين النصيرين فسمع العوام يتحدثون ان الظاهر بقوق خرج من مبيته بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد فقد زادني ذكراه وجداً على وجدي
ولا زالت الانواء تسمى بمحايها دياراً حكمت من حسن حاجته الخلد
وهي اكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشرى رمضان
سنة خمس واربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك على ما قاله شيخنا بشكالة
ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه
الله واياتنا اه .

هذان غودجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لاحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط على اشده في جسم الامة الاسلامية

